وقائع المؤتمر الدولي الرابع (التعليم العالي وقضايا المجتمع المعاصر)٦-٧/٥/٢٠٢٦

Kirkuk University Journal: Humanity Studies

مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية

ISSN P: 1992-1179
ISSN E: 3107-3360

Political Relations of the Umayyad Caliphate in Al-Andalus with European Powers (316–422 AH / 929–1031 AD)

Asst. Prof. Dr. Khalid Ahmed Saleh
University of Anbar – College of Education for Women – Department of History, E-mail: edw.khaled_3120@uoanbar.edu.iq

Abstract: This study examines the Umayyad Caliphate in al-Andalus during the 4th century AH / 10th century CE, a period that marked the peak of its political power and cultural prosperity. During this era, Córdoba emerged as a prominent international center, exerting significant influence on the balance of power in the Mediterranean region. The research focuses on analyzing the network of political relations established by the Umayyad state with contemporary European powers, including the Byzantine Empire, the Holy Roman Empire, and the northern Iberian kingdoms, with interactions ranging from conflict to diplomacy and peaceful coexistence.

The study also explores the diplomatic dimensions of these relations by highlighting the mechanisms employed by the Umayyads, such as the exchange of embassies, gifts, and political marriages, which contributed to strengthening their influence and consolidating their international standing. Relying on primary historical sources, the research aims to trace the development of these relations and assess their outcomes, providing a deeper understanding of the political and civilizational role of al-Andalus in shaping international relations during this period.

Keywords: Political Relations, al-Andalus, European Powers, Umayyad Caliphate, Diplomacy.

العلاقات السياسية للخلافة الاموية في الاندلس مع القوى الاوربية (٣١٦- ٤٢٢هـ /٩٢٩-١٠٣١م)

خالد احمد صالح*

الملخص

يتناول هذا البحث مرحلة الخلافة الأموية في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، بوصفها العصر الذي بلغت فيه الدولة أوج قوتها السياسية وازدهارها الحضاري، حيث تحولت قرطبة إلى مركز دولي بارز ومؤثر في موازين القوى في حوض البحر الأبيض المتوسط. ويركّز البحث على تحليل شبكة العلاقات السياسية التي نسجتها الدولة الأموية مع القوى الأوروبية المعاصرة، بدءاً من علاقاتها مع الإمبراطورية البيزنطية،

* أستاذ مساعد دكتور، دكتوراه، جامعة الانبار- كلية التربية للبنات - قسم التاريخ edw.khaled_3120@uoanbar.edu.iq

مروراً بالتواصل مع الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وصولاً إلى علاقاتها المتباينة مع الممالك الإسبانية الشمالية، سواء في إطار الصراع أو المهادنة.

كما يتناول البحث الأبعاد الدبلوماسية لهذه العلاقات من خلال إبراز الوسائل التي اعتمدتها الدولة، مثل تبادل السفارات والهدايا والمصاهرات السياسية، وما أسهمت به هذه الوسائل في تعزيز النفوذ الأموي وترسيخ مكانته الدولية. ويهدف البحث إلى تتبع مسارات هذه العلاقات وتحليل نتائجها في ضوء المصادر التاريخية، بما يسهم في تقديم فهم أعمق لطبيعة الدور السياسي والحضاري للأندلس، وأثره في تشكيل العلاقات الدولية في تلك المرحلة.

الكلمات المفتاحية: العلاقات السياسية، الأندلس، القوى الأوروبية، الخلافة الأموية، الدبلوماسية.

١-المقدمة

الحمد لله الذي جعل التاريخ عبرةً لأولي الأبصار، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تُعدّ مرحلة الخلافة الأموية في الأندلس، ولا سيما في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، من أبرز الفترات في تاريخ الإسلام الوسيط، إذ بلغت الدولة خلالها ذروة قوتها السياسية وازدهارها الحضاري. ولم تقتصر أهمية قرطبة، في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر بالله، ثم خلال فترة الحجابة العامرية، على كونها مركزاً علمياً وثقافياً فحسب، بل غدت محوراً فاعلاً في السياسة الدولية ومركز ثقل دبلوماسي في حوض البحر الأبيض المتوسط.

وتنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول شبكة العلاقات السياسية التي أقامتها الدولة الأموية في الأندلس مع القوى الأوروبية المعاصرة لها، والتي تنوعت بين التحالف والتنافس والصراع. فقد شملت هذه العلاقات الإمبراطورية البيزنطية في القسطنطينية، والإمبراطورية الرومانية المقدسة، فضلاً عن الممالك الإسبانية الشمالية مثل ليون ونافار وقشتالة.

ولا تقتصر دراسة هذه العلاقات على بعدها السياسي والعسكري، بل تمتد لتشمل الأدوات الدبلوماسية التي اعتمدتها الدولة الأموية، كإرسال السفارات، وتبادل الهدايا، وعقد المصاهرات السياسية، وهي وسائل أسهمت في تعزيز مكانة الأندلس الدولية وترسيخ نفوذها. ويهدف هذا البحث إلى تتبع مسارات هذه العلاقات وتحليل نتائجها، بالاعتماد على المصادر التاريخية الأصيلة، سعياً لفهم أعمق للدور الذي أدته الأندلس في تشكيل العلاقات الدولية في العصور الوسطى.

أولاً: الدولة البيزنطية:

استطاع عبد الرحمن الناصر أن يحقق وحدة الأندلس، فاجتمع شمل المسلمين تحت لوائه، وأصبحت قرطبة قوة سياسية وعسكرية بارزة في غرب البحر المتوسط، مما جعلها طرفاً فاعلاً في

التوازنات الإقليمية **(سالم، ١٩٧١، ج١، ص ٦٧)**. شهدت سلطة الحاكم اتساعًا ملحوظًا، إذ خضعت له أممٌ متعددة من مناطق بعيدة، معلنةً ولاءها وخضوعها، وأوفدت إليه رسلها محمّلين بالهدايا من كلٍّ من روما والقسطنطينية، في إطار السعي إلى إقرار علاقات قائمة على المهادنة والسلم، وضمان رضاه. كما قدم إليه عدد من ملوك مناطق شمال الأندلس المتاخمة لبلاد المسلمين، ولا سيما الواقعة عند جبال قشتالة وبنبلونة، حيث أظهروا مظاهر الطاعة والامتثال، وسعوا إلى كسب وده، فنالوا عطاياه وهباته، وعادوا محمّلين بما أفاض عليهم من تكريم **(المقري، ١٩٤٩، ج١، ص ٣٣١)**.

ففي سنة ٣٣٦هـ /٩٤٧م وفد إلى الخليفة الناصر وصلت إلى البلاط الأموي رسلُ صاحب القسطنطينية، مصحوبةً بهديته، وكان حاكمها آنذاك قسطنطين بن ليون. وقد أولى الخليفة الناصر هذا الوفد عنايةً خاصة، إذ احتفل باستقبالهم في يومٍ مهيب، أُعدّت له مظاهر رسمية بالغة الدقة؛ حيث اصطفّت العساكر بكامل أسلحتها، واكتملت هيئة الوزير، وزُيّن قصر الخلافة بمختلف ألوان الزينة وأنواع الستور. كما نُظِّم مجلس الخلافة على نحوٍ دقيق، فحُمل السرير الخلافي، وأُجلس عليه الأبناء والإخوة والأعمام وسائر ذوي القربى، ورُتّب الوزراء والخدم في مواقعهم وفق نظامٍ محدد، وعند دخول الرسل، أدهشتهم فخامة المشهد وما اتسم به من هيبةٍ وتنظيم، فتقدّموا لأداء رسالتهم وفق الأصول المتبعة. وفي هذا السياق، أُمر بعض الأعاجم بإلقاء خطبٍ في ذلك المحفل، تُعظِّم شأن الإسلام والخلافة، وتُبرز ما تحقق لهما من رفعةٍ وعزّة، مع الإشادة بنعمة الله في نصرة الدين وإعلاء كلمته وإخضاع خصومه. غير أنّ رهبة المجلس وعظم هيبته أثّرت فيهم، فبدا عليهم الاضطراب أمام جلال الموقف. **(ابن عذاري، ١٩٦٧، ج٢، ص ٢١٣)**

وفي سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩م، جاء وفد ملك الروم صاحب القسطنطينية إلى الناصر راغباً في إبقاء الموادعة والاتصال والمكاتبة بينهم. فاستعد الناصر لقدومهم، وأمر بتلقيهم بالجيش والعدة، وجلس لهم الجلوس المشهور الذي لم يتهيأ لما قبله من جلال الشأن وعزة السلطان، قدّم الوفد كتابَ ملكهم مكتوبًا على رقٍّ مصبوغٍ باللون السماوي، ومذهّبَ الحروف، في دلالةٍ على ما أُحيط به من عنايةٍ ورمزيةٍ دبلوماسية. وكان الكتاب مختومًا بطابعٍ من الذهب يبلغ وزنه نحو أربعة مثاقيل، نُقشت على أحد وجهيه صورةُ السيد المسيح (عليه السلام)، فيما حُفر على الوجه الآخر تصويرٌ للملك قسطنطين مصحوبًا بصورة ولده، بما يعكس تقاليد البلاط البيزنطي في إبراز الرموز الدينية والسياسية ضمن مراسلاته الرسمية. **(ابن عذاري، ١٩٦٧، ص ٣١٥)**

ومن نتائج هذه السفارات دخول بعض المؤلفات المهمة إلى الأندلس، ككتاب الحشائش لديسقوريدس، وكتاب هيرودوتس في التاريخ، ونُقل أكثر من مائة سارية وتحف غريبة استُخدمت في بناء وتزيين مدينة الزهراء. **(المقري، ١٩٤٩، ج١، ص ٣٤٢)**

ويذكر عنان أن هذه السفارة لم تكن لتجديد العلاقة بين الدولة البيزنطية ودولة الإسلام في الأندلس أو توطيداً للصداقة القديمة بينهما، وإنما أراد بلاط القسطنطينية تجديد ما كان مع بلاط قرطبة منذ عهد عبد الرحمن الناصر، جاءت هذه التحركات في سياق السعي إلى إقامة نوعٍ من التحالف السياسي في مواجهة الدولة العباسية، بوصفها خصمًا مشتركًا للطرفين. كما يُحتمل أنّ هذه الجهود كانت تستهدف، في الوقت ذاته، تنسيق الخطط والتدابير المشتركة بين الدولتين للتصدي للدولة الفاطمية الناشئة، التي بدأت آنذاك تمثل مصدر قلقٍ متزايد للبيزنطيين في مناطق وسط البحر المتوسط. **(عنان، ١٩٦٩، ص ٤٥٦)**

وفي سنة ٣٦١هـ / ٩٧٢م، وصلت سفارة قسطنطين (الملقب بالرسول) صاحب القسطنطينية إلى قرطبة، وذلك في زمن الخليفة الحكم المستنصر بالله. فاحتفل الخليفة بهذه السفارة البيزنطية، واستقبلها بالحفاوة والتكريم. ولا يذكر ابن حيان سبب هذه السفارة ونتائجها، وإنما أشار إلى ذكرها فقط. **(ابن حيان، ١٩٦٥، ص ٧١)**

كذلك كان للمنصور ابن أبي عامر علاقات ودية مع الدولة البيزنطية، فقد استقبل رسول القسطنطينية ومعه الهدايا والتحف، أرسله إمبراطورها باسيل الثاني **(٩٧٦–١٠٢٥م / ٣٦٦–٤١٥هـ)**، الذي كان عصره من أزهى عصور الأسرة المقدونية الحاكمة. **(الدوري، ١٩٨٧، ص ٢٢٩)**

ثانياً: الدولة الرومانية المقدسة:

كانت للدولة الأموية في الأندلس علاقات دبلوماسية مع الإمبراطورية الرومانية المقدسة في زمن عبد الرحمن الناصر، تكونت نتيجةً للغارات البحرية التي كان يشنها البحارة الأندلسيون على سواحل بلادهم الجنوبية. وعلى الرغم من أن نشاط هذه الجماعات البحرية كان يُعدّ من قبيل أعمال النشاط البحري بين الجانبين كان يتراوح بين العمليات الرسمية وغير الرسمية، ضمن سياق صراع بحري في المتوسط **(العبادي، ١٩٧٨، ص ٢٠٢)**، فقد وفدت إلى الأندلس سفارة ملك الصقالبة، أو ملك (ألمانيا)، وذلك في زمن أوتو الكبير سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م، حيث استقبل الخليفة الناصر الوفد وأكرم وفادته. **(ابن خلدون، ١٩٧٥، ج٤، ص ١٤٣)**

وكانت السفارة برئاسة الحبر (يوحنا الغورزيني: "هو رجل دين مسيحي ودبلوماسي من رجال القرن العاشر الميلادي، ينتمي إلى دير غورز في منطقة لورين (في إطار الإمبراطورية الرومانية المقدسة). عُرف بدوره البارز في الحياة الدينية والسياسية في أوروبا الغربية، وبنشاطه الإصلاحي داخل الأديرة، فضلًا عن مشاركته في البعثات الدبلوماسية") **(عنان،١٩٦٩، ج٢، ص ١٢٢–١٢٥)**، الذي حمل رسالة الإمبراطور إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر. وبعد أن استراح الوفد من مشاق السفر، اطّلع المكلّفون بإعداد التمهيد لتقديم السفارة على مضمون رسالة السفير، فوجدوا أنها تتضمن عبارات تهجمية شديدة اللهجة على الخليفة والعقيدة الإسلامية. فأمر الخليفة بفتح باب اللقاء مع السفير دون تقديم الرسالة، إلا أن السفير أظهر تمسكاً بالبروتوكول الدبلوماسي المتبع في بلاطه، مما أدى إلى توتر مؤقت في المفاوضات، ولم يستجب لمحاولات الإقناع المتكررة. **(ابن خلدون، ١٩٧٥، ج٤، ص ١٤٣؛ الحجي، ١٩٦٩، ص ٤٦)**

وأخيراً، تم الاتفاق على أن يرسل الناصر رسولاً إلى ملك الألمان للتأكد من موقفه الحقيقي وتوجهه نحو الخلافة **(عنان، ١٩٦٩، ص ٤٥٧)**. فأرسل الخليفة ربيعاً الأسقف **(ابن خلدون، ١٩٧٥، ج٤، ص ١٤٣)**، الذي تسميه الرواية الأندلسية (ربيع بن زيد)، وكان من المستعربين الذين يجيدون العربية واللاتينية. وقد سافر الوفد الأندلسي عبر شمال إسبانيا وبلاد الغال (فرنسا) حتى وصل إلى فرانكفورت، حيث كان يقيم إمبراطور ألمانيا. فاستقبل أوتو السفارة، ووافق على إرسال رسالة جديدة ذات لهجة معتدلة بدلاً من الرسالة الأولى. وقد نجحت مهمة السفارة، وعادت إلى قرطبة بعد غياب دام خمسة أشهر، حيث أُعدّت مراسم استقبال جديدة للوفد الألماني. **(الحجي، ١٩٦٩، ص ٥١)**

استقبل الخليفةُ الوفدَ في قصر قرطبة ضمن مراسم احتفالية فخمة، تجلّت فيها مظاهر العظمة والتنظيم التي ميّزت البلاط الأموي، بما يعكس ما بلغه من رقيٍّ سياسي وحضاري **(ابن خلدون، ١٩٧٥، ج٤، ص ١٤٣؛ عنان، ١٩٦٩)**. وخرج الناس لمشاهدة هذا الحدث، وسار الموكب من مدينة قرطبة إلى قصر الخليفة في مدينة الزهراء، التي تقع بقاياها عند سفح (جبل العروس)، على بعد نحو خمسة أميال شمال غربي قرطبة. وعند وصول الوفد الألماني إلى الزهراء، كان كبار رجال الدولة في استقباله. **(المقري، ١٩٤٩، ج٢، ص ٦٥؛ الحجي، ١٩٦٩، ص ٥٢)**

وعلى الرغم من صمت المصادر العربية بشأن النتائج المباشرة لهذه السفارة، فإنّ المعطيات التاريخية تشير إلى احتمال أن حكومة قرطبة قد أبدت استعدادًا لتعزيز التعاون وتوثيق علاقات الصداقة بين الطرفين. وفي الوقت نفسه، عبّرت عن أسفها لعدم قدرتها على ضبط الغارات البحرية التي كان ينفذها بعض البحّارة الأندلسيين في مناطق غاليسيا وشمال إيطاليا وسواحل سويسرا وغيرها، حيث كانوا يتحركون بصورة مستقلة ويعملون لحسابهم الخاص خارج نطاق سلطة الدولة الأموية وسيطرتها الفعلية. **(السامرائي وآخرون، ١٩٨٧، ص ١٧٢)**

وفي سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٤م، ذكر ابن حيان قدوم سفارة من أوتو، ملك الفرنجة أو إمبراطور ألمانيا، إلى الخليفة الحكم المستنصر بالله، بهدف تجديد الصلح وإطالة أمد السلم بين الطرفين بعد انتهاء مدة الاتفاق السابق. وتدل هذه السفارة على قوة الخلافة الأموية آنذاك، إذ اضطُر الإفرنج إلى طلب الصلح. وقد استقبل الخليفة هذه السفارة بالحفاوة والتكريم، وفق ما جرت عليه العادة في استقبال الوفود الأجنبية. **(ابن حيان، ١٩٦٥، ص ١٦٩)**

وفي فترة الحجابة العامرية (٣٦٦–٣٩٩هـ / ٩٧٦–١٠٠٨م)، استمرت العلاقات السلمية مع الإمبراطورية الرومانية المقدسة، حيث استقبل الحاجب المنصور رسولاً من روما، يحمل الهدايا ونفائس التحف، أرسله أوتو الثالث، ملك ألمانيا وإيطاليا والإمبراطورية الرومانية المقدسة. وكانت مهمة هذا الرسول الاطلاع على أحوال المسلمين. **(ابن البيطار، ١٩٩٢، ج٤، ص ٢٠٠–٢٠٥)**

وترتبط بهذه السفارة قصة طريفة؛ إذ أمر الحاجب المنصور بغرس نبات النيلوفر في بركة عظيمة، ثم أمر بصكّ أربعة قناطير من الذهب وأخرى من الفضة على هيئة قطع صغيرة، ووضعت كل قطعة داخل زهرة من أزهار النيلوفر حتى غطت سطح البركة. ثم دُعي الرسول قبل طلوع الشمس، وأُجلس في موضع يشرف على البركة بمدينة الزهراء. فلما أشرقت الشمس وانعكس ضوءها على الأزهار، بدت في منظر بديع، فأخذ الحاضرون يجمعون ما فيها من ذهب وفضة، فتعجب الرسول من ذلك، وطلب المهادنة مع الأندلس. وعند عودته إلى ملكه قال: "لا تعادِ هؤلاء القوم، فإني رأيت الأرض تخدمهم بكنوزها". **(الدوري، ١٩٨٧، ج١، ص ٣٠٠)**

ثالثاً: الممالك الإسبانية الشمالية:

عند الرجوع إلى بداية الفتح الإسلامي للأندلس سنة ٩٢هـ/٧١١م، انهزم القوط الغربيون إلى شمال إسبانيا، وتحصنوا في منطقة جبلية عُرفت بصخرة بلاي، نسبةً إلى زعيمهم بلاي، وكان

عددهم نحو ثلاثمائة رجل وامرأة. وقد أصبحت هذه الجماعة لاحقاً نواةً للحركات التي أسهمت في إخراج المسلمين من الأندلس. **(مؤنس، ١٩٥٩، ص ٣١٣)**

ولم تكن هناك علاقات ودية مستقرة بين الممالك الإسبانية والدولة العربية في الأندلس، إذ سادت الصراعات بين الطرفين. وكانت هذه الممالك تعقد الصلح مع الدولة الأموية عند ضعفها وعجزها عن القتال، ثم تنقض هذه الاتفاقيات عندما تستعيد قوتها، فتبادر إلى استئناف القتال. **(السامرائي وآخرون، ١٩٨٧، ص ١٧٢)**

وفي عهد الإمارة لا نجد علاقات دبلوماسية واضحة بين هذه الممالك والدولة الأموية، مع وجود إشارات إلى قيام علاقات محدودة من هذا النوع في زمن عبد الرحمن الداخل، حيث عُقدت معاهدة أمان وسلم بين الطرفين. أما في عهد الخلافة، فقد اتسمت هذه العلاقات بدرجة من النضج والتنظيم. **(طه، ١٩٨٦، ص ١٢٧)**

في سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م، استقبل الخليفة الناصر سفارةً من أردونيو الرابع، ملك ليون، حملت طلبًا بإقرار الصلح وعقد علاقات قائمة على السلم والمودة بين الطرفين، وقد استجاب الخليفة لهذا الطلب فبعث في العام التالي سفيره محمد بن الحسين إلى ليون، حيث أُبرمت معاهدة بين الجانبين، غير أنّ اندلاع النزاع الداخلي بين أردونيو وأخيه سانتشو حال دون تنفيذها على أرض الواقع ، وفي سنة ٣٤٦هـ/٩٥٨م، قدمت طوطة، ملكة نافار، إلى قرطبة برفقة ابنها سانتشو، فحظيا باستقبالٍ رسميّ حافل من الخليفة، الذي أقرّ سانتشو ملكًا على نافار، وتعهد بدعمه في مساعيه لاستعادة عرشه. وفي السياق ذاته، وصلت إلى قرطبة رسل البابا يوحنا الثاني عشر، ساعين إلى توثيق علاقات السلم والمودة، فاستجاب الخليفة لمطلبهم، في إطار سياسة خارجية اتسمت بالمرونة والانفتاح على مختلف القوى السياسية. **(ابن خلدون، ١٩٧٥، ج٤، ص ١٤٣؛ المقري، ١٩٤٩، ج١، ص ٣٤٢)**

وفي سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م، جلس الخليفة الحكم المستنصر بالله على السرير الخلافي في قصر الزهراء في حفل مهيب، يحيط به الحجاب والوزراء وكبار رجال الدولة، لاستقبال وفود الممالك الشمالية. فاستقبل سفراء نافار، ثم رسول ألبيرة الوصية على راميرو الثالث ملك ليون، ثم رسول ملك قشتالة. وكان الخليفة يستقبل كل وفد على انفراد، تقديراً له واهتماماً بالمهمة التي قدم من أجلها، ثم استجاب لمطالبهم، وأغدق عليهم الهدايا. **(ابن حيان، ١٩٦٥، ص ٢٥٩)**

وبعد الانتصارات التي حققها المنصور بن أبي عامر على هذه الممالك، وعدم قدرتها على مواجهة قواته، اضطرت إلى طلب السلم والمودة، رغم الشروط القاسية التي فرضها عليها. **(عنان، ١٩٦٩، ص ٥٩٨)**

وقد اتسمت فترة الحجابة العامرية (٣٦٦–٣٩٩هـ / ٩٧٦–١٠٠٨م) بطغيان الطابع العسكري، إذ شغلت الحروب والجهاد معظم اهتمام المنصور بن أبي عامر، فلم تترك مجالاً واسعاً لتطوير العلاقات الثقافية أو التجارية، وإن لم تنعدم هذه العلاقات تماماً، بل ظلت محدودة **(الدوري، ١٩٨٧، ص ٢٢٩)**.

رابعاً: المصاهرات بين الأندلس وإسبانيا الشمالية في عهد الخلافة:

كانت المصاهرات بين العرب في الأندلس والإسبان شائعة، سواء داخل المجتمع الأندلسي نفسه أم مع إمارات النصارى في الشمال، وقد شجّع الحكام هذه الظاهرة لما لها من أثر في توطيد العلاقات السياسية والاجتماعية. ومن الأمثلة المبكرة على ذلك زواج عبد العزيز بن موسى بن نصير من أرملة لذريق، آخر ملوك القوط، مثالًا بارزًا على توظيف المصاهرة كأداةٍ لتعزيز التقارب السياسي بين المسلمين والنخب المحلية في شبه الجزيرة الإيبيرية. كما أسهم بعض الحكام المسيحيين في دعم هذا التوجه، ومنهم سويجانو (ت ١٧٣هـ/٧٨٩م)، حيث شهدت مناطق الثغر الأعلى نشوء علاقات مصاهرة بين الأسر ذات النفوذ، مثل بني قسي، وحكام نافار، الأمر الذي عكس طبيعة التداخل السياسي والاجتماعي بين الطرفين. **(المقري، ١٩٤٩، ج١، ص ١٩٨؛ طه، ١٩٨٦، ص ١٦٩)**

ومن المصاهرات اللافتة في هذا السياق زواج الأمير عبد الله بن محمد من الأميرة النافارية "أونقة"، ابنة غرتون بن غرسية المعروف بـ(الأنق). وقد أنجبت له ابناً هو محمد، الذي أصبح لاحقاً والد الخليفة عبد الرحمن الناصر. **(السامرائي وآخرون، ١٩٨٧، ص ١٤٣)**

كما تزوّج الخليفة الحكم المستنصر بالله من أميرة بشكنسية عُرفت باسم "صبح"، وهو الاسم العربي المترجم عن اسمها الإسباني، وكانت أم الخليفة هشام المؤيد بالله ووريثه. **(الحجي، ١٩٦٩، ج١، ص ٧٨)**

وتزوّج الحاجب المنصور بن أبي عامر ابنة شانجه الثاني بن غرسية، وكانت من خِيار نسائه ديناً، وأنجبت له ابنه عبد الرحمن الملقب بـ(شنجول). **(ابن الخطيب، ١٩٦٥، ص ٦٦)**

وفي سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٣م، تزوّج المنصور أيضاً من أميرة ليونية، ابنة برمود الثاني، الذي أهدى ابنته إليه طلباً لمرضاته وسعياً لإبعاد الجيوش الأندلسية عن مملكة ليون، التي كانت تتعرض لحملات المنصور العسكرية. وقد وصلت هذه الأميرة إلى قرطبة، فاتخذها المنصور جارية، ثم عقد عليها الزواج. **(الدوري، ١٩٨٧، ص ٣١٦)**

وتدل هذه المصاهرات على طبيعة العلاقات المتبادلة بين المسلمين في الأندلس وجيرانهم من نصارى الشمال، كما تكشف عن دورها في تعزيز الروابط السياسية، والإسهام في انتقال بعض مظاهر الحضارة والتأثيرات الثقافية بين الطرفين.

خاتمة البحث:

في ختام هذا البحث الموسوم بـ "العلاقات السياسية للخلافة الأموية في الأندلس مع القوى الأوروبية"، يمكن استخلاص جملة من النتائج والاستنتاجات التاريخية المهمة:

أولاً: بيّنت الدراسة أن الأندلس في القرن الرابع الهجري لم تكن مجرد قوة إقليمية، بل غدت مركزاً فاعلاً في شبكة العلاقات الدولية، حيث سعت قوى كبرى كالإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية الرومانية المقدسة إلى توطيد علاقاتها مع قرطبة وعقد التحالفات معها.

ثانياً: اتسمت السياسة الخارجية للدولة الأموية في الأندلس بالمرونة والواقعية، إذ استطاعت توظيف أدوات متعددة في إدارة علاقاتها، فحوّلت الصراعات العسكرية مع الممالك الإسبانية الشمالية إلى اتفاقيات سلمية ومصاهرات سياسية كلما اقتضت المصلحة ذلك، الأمر الذي أسهم في تحقيق قدر من الاستقرار على حدودها الشمالية.

ثالثاً: أدّت المصاهرات السياسية دوراً يتجاوز بعدها الاجتماعي، إذ مثّلت أداة دبلوماسية فعّالة لاحتواء التوترات وتعزيز أواصر التواصل، وهو ما يتجلى في ارتباط بعض حكام الأندلس بأميرات من الممالك النصرانية.

رابعاً: كشفت فترة الحجابة العامرية عن نمط مغاير من العلاقات قائم على إظهار القوة والهيمنة، حيث اضطرت القوى الأوروبية المجاورة إلى طلب الصلح والمهادنة، مما يعكس بلوغ الدولة الأموية في الأندلس ذروة نفوذها السياسي والعسكري في تلك المرحلة.

خامساً: لم تقتصر هذه العلاقات على الجانب السياسي فحسب، بل شكّلت جسراً لنقل المعارف والمنتجات الحضارية، من كتبٍ وعلومٍ وفنونٍ، بين الأندلس وأوروبا، وهو ما أسهم في إثراء الحياة الحضارية في كلا الجانبين.

المراجع

١- ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي. (١٩٩٢). **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية** (تحقيق: أحمد عبد الموجود وآخرون). بيروت: دار الكتب العلمية.

٢- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني. (١٩٦٥). **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام** (تحقيق: ليفي بروفنسال). بيروت: دار المكشوف.

٣- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف. (١٩٦٥). **المقتبس من أنباء أهل الأندلس** (تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي). بيروت: دار الثقافة.

٤- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (١٢٨٤هـ). **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**. بيروت: دار صادر.

٥- ابن عذاري، أبو عبد الله محمد المراكشي. (١٩٦٧). **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** (تحقيق: كولا وليفي بروفنسال). بيروت: دار الثقافة.

٦- الحجي، عبد الرحمن علي. (١٩٦٩). **أندلسيات**. بيروت: دار الإرشاد.

٧- سالم، السيد عبد العزيز. (١٩٧١). **قرطبة حاضرة الخلافة**. بيروت: دار النهضة العربية.

٨- السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون. (١٩٨٧). **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**. الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل.

٩- طه، عبد الواحد ذنون. (١٩٨٦). **دراسات أندلسية**. بغداد: المكتبة الوطنية.

١٠- العبادي، أحمد مختار. (١٩٧٨). **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**. بيروت: دار النهضة العربية.

١١- عنان، محمد عبد الله. (١٩٦٩). **دولة الإسلام في الأندلس: الخلافة الأموية والدولة العامرية**. القاهرة: مكتبة الخانجي.

١٢- المقري، أحمد بن محمد التلمساني. (١٩٤٩). **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب** (تحقيق: محيي الدين عبد الحميد). القاهرة: مطبعة السعادة.

١٣- مؤنس، حسين. (١٩٥٩). **فجر الأندلس: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية**. القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر.

١٤- ياس خضر. (١٩٨٧). **السياسة الداخلية والعلاقات الخارجية للأندلس في عهد المنصور ابن أبي عامر** (رسالة دكتوراه غير منشورة). قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الأزهر، القاهرة.